

18


الأسبوع

الجزء الثالث

السجن

السجن

مكتبة دار الفنون
مكتبة دار الفنون
مكتبة دار الفنون



دَخَلَ نَبِيُّ اللَّهِ يُوسُفُ عليه السلام السَّجْنَ فِي نُهْمَةٍ هُوَ بَرِيءٌ مِنْهَا ..
 وَفِي السَّجَنِ انْتَهَزَ يُوسُفُ عليه السلام الْفُرْصَةَ .. فُرْصَةَ
 الْهُدُوءِ وَالسَّكِينَةِ ، فَتَفَرَّغَ لِعِبَادَةِ اللَّهِ - تَعَالَى ..
 وَوَجَدَ وَقْتًا لِلتَّأَمُّلِ فِي كَوْنِ اللَّهِ وَمَلَكُوتِهِ ..
 وَلَمْ يَضَعْ يُوسُفُ الْفُرْصَةَ ، وَهَذَا هُوَ ذَا يَقُومُ بِالدَّعْوَةِ إِلَى
 اللَّهِ ، فَدَعَا الْمَسَاجِينَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ ..
 وَفِي صَبْرِ وَحِكْمَةٍ وَتَعَقُّلٍ رَاحَ يُوسُفُ عليه السلام يُحَدِّثُ

زُمْلَاءَهُ مِنَ الْمَسَاجِينِ عَنِ اللَّهِ بِالْإِقْنَاعِ الْعَقْلِيَّ .
حَدَّثَهُمْ عَنْ عَظَمَةِ اللَّهِ - تَعَالَى - وَقُدْرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ
بِعِبَادِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ ..

وَكَانَ يَسْأَلُهُمْ قَائِلًا :

- أَيُّهُمَا أَفْضَلُ ، أَمْ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ ، رَبَّ هَذَا الْكَوْنِ ،
الَّذِي خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا ، وَمَنْحَنَا كُلَّ أَسْبَابِ الْحَيَاةِ ، أَمْ أَنْ
تَعْبُدَ مِنْ دُونِهِ أَرْبَابًا مُتَفَرِّقِينَ ، وَالْهَيْةَ مِنْ تَمَائِيلَ لَا تَنْفَعُ
وَلَا تَضُرُّ ، وَلَا تُغْنِي عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ شَيْئًا ؟

وَكَانَ مِنْ بَيْنِ الْمَسَاجِينِ ، الَّذِينَ دَخَلُوا السَّجْنَ مَعَ
يُوسُفَ اثْنَانِ مِنَ الْفَتَيَانِ ..

كَانَ أَحَدُ الْفَتَيَيْنِ قَبْلَ دُخُولِهِ السَّجْنَ يَعْمَلُ خَبَازًا
فِي قَصْرِ مَلِكِ مِصْرَ ..

وَكَانَ الْآخَرُ يَعْمَلُ سَاقِيًا لِلْمَلِكِ ، فَكَانَ يَقُومُ بِتَقْدِيمِ
كُثُوسِ الشَّرَابِ لِلْمَلِكِ ..

وَذَاتَ يَوْمٍ فِي السَّجْنِ رَأَى كُلُّ مِنَ السَّاقِي وَالْخَبَازِ

حُلْمًا فِي مَنَامِهِ .. وَكَانَ حُلْمُ كُلِّ مِنْهُمَا يَخْتَلِفُ عَنِ

حُلْمِ الْآخَرِ .. فَمَاذَا رَأَى كُلُّ مِنْهُمَا ١٩

شَاهِدَ الْخَبَازِ فِي حُلْمِهِ أَنَّهُ يَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِهِ خَبْزًا ..

وَشَاهِدَ مَجْمُوعَةً مِنَ الطُّيُورِ تُحَوِّمُ فَوْقَ رَأْسِهِ

وَتَخْتَطِفُ أَرْغِفَةَ الْخَبْزِ وَتَأْكُلُهَا ..

وَشَاهِدَ السَّاقِي نَفْسَهُ وَهُوَ يَقِفُ أَمَامَ الْمَلِكِ وَيَقُومُ

بِتَقْدِيمِ كَأْسِ الشَّرَابِ لَهُ ..

وَكَانَ الْخَبَازُ وَالسَّاقِي قَدْ سَمِعَا عَنْ يُوسُفَ عليه السلام

فِي السِّجْنِ ، وَعَرَفَا أَنَّهُ يَسْتَطِيعُ تَفْسِيرَ الْأَحْلَامِ ، وَفَكَرُوا

رُمُوزَهَا الْغَرِيبَةَ ، وَمَعْرِفَةَ مَا تُشِيرُ إِلَيْهِ هَذِهِ الرُّمُوزُ ..

وَلِذَلِكَ ذَهَبَا إِلَى يُوسُفَ ، وَقَصَّ كُلُّ مِنْهُمَا عَلَيْهِ

حُلْمَهُ ، وَطَلَبَ مِنْهُ تَفْسِيرَهُ ..

فَمَاذَا قَالَ لَهُمَا يُوسُفَ عليه السلام ٢٠

اِنتَهَزَ يُوسُفَ عليه السلام الْفُرْصَةَ ، وَقَبْلَ أَنْ يَبْدَأَ بِتَفْسِيرِ حُلْمِ

كُلِّ مِنَ السَّاقِي وَالْخَبَازِ ، رَاحَ يَدْعُو كُلًّا مِنْهُمَا



إلى الإيمان بالله - تعالى - وقال لهما : إِنَّهُ قَدْ تَرَكَ
دِينَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ خَارِجَ السَّجْنِ ، وَالَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ..
وَإِنَّهُ يَعْبُدُ اللَّهَ - تعالى - وَلَا يُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا - عَلَى دِينِ
آبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ -
عَلَيْهِمُ السَّلَامُ -

وَإِنَّ تَوْحِيدَ اللَّهِ وَعِبَادَتَهُ ، هُمَا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْهِ ،
وَعَلَى آبَائِهِ وَعَلَى النَّاسِ ، وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ
خَالِقَهُمْ عَلَى نِعْمَةِ الْهُدَى وَالْإِيمَانِ ..

ثُمَّ يَسْأَلُ يُوسُفُ ^{عَلَيْهِ السَّلَامُ} كَلًّا مِنَ السَّاقِي وَالْخَبَّازِ قَائِلًا :
- أَيُّهُمَا أَفْضَلُ : أَنْ تَعْبُدُوا إِلَهًا مُتَفَرِّقَةً لَا تَنْفَعُ وَلَا تَنْفَعُ ،
أَمْ تَعْبُدُونَ اللَّهَ الْوَاحِدَ الْقَهَّارَ ؟
ثُمَّ يُضِيفُ قَائِلًا :

- إِنَّ مَا تَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، مَا هِيَ إِلَّا أَصْنَامُ
وَتَمَائِيلُ أَطْلَقْتُمْ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ عَلَيْهَا أَسْمَاءَ ،

وَجَعَلْتُمُوهَا إِلَهَةً ، وَإِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - لَمْ يَأْمُرْ بِعِبَادَةِ هَذِهِ
الْأَصْنَامِ مِنْ دُونِهِ ، لَكِنَّهُ سَبَّحَانَهُ أَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَهُ دُونَ سِوَاهُ ..
وَبَعْدَ هَذِهِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ بِدَأْ نَبِيُّ اللَّهِ يُوسُفُ عليه السلام
يُفَسِّرُ لِكُلِّ مِنَ السَّاقِي وَالْخَبَّازِ حُلْمَهُ ..
فَقَالَ لِلْسَّاقِي :

- أَنْتَ أَيُّهَا السَّاقِي سَوْفَ يُفْرَجُ عَنْكَ ، وَتُبْرَأَ مِنَ
الثَّهْمَةِ الْمُنْسُوبَةِ إِلَيْكَ ، وَسَوْفَ تَعُودُ إِلَى مُمَارَسَةِ
عَمَلِكَ فِي قَصْرِ الْمَلِكِ ، كَمَا كُنْتَ فِي السَّابِقِ ..
وَقَالَ لِلْخَبَّازِ :

- أَمَّا أَنْتَ أَيُّهَا الْخَبَّازُ ، فَسَوْفَ تَثْبُتُ عَلَيْكَ الثَّهْمَةُ ،
الَّتِي دَخَلْتَ بِسَبَبِهَا السُّجْنَ ، وَسَوْفَ يُحْكَمُ عَلَيْكَ
بِالْمَوْتِ صَلْبًا ، وَسَيُتْرَكُ جَسَدُكَ فِي الْعَرَاءِ ؛ لِتَأْكُلَ
الطَّيْرُ مِنْهُ وَأَنْتَ مَيِّتٌ .. هَذَا هُوَ تَفْسِيرُ حُلْمِ كُلِّ مِنْكُمَا ..
ثُمَّ أَضَافَ قَائِلًا لِلْسَّاقِي :

- أَرْجُو مِنْكَ أَيُّهَا السَّاقِي ، أَنْ تَذْكُرَ لِلْمَلِكِ ، عِنْدَمَا

تَفْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، أَنَّهُ يُوجَدُ فِي السَّجْنِ إِنْسَانٌ بَرِيءٌ
مَظْلُومٌ دَخَلَ السَّجْنَ دُونَ ذَنْبٍ أَوْ تَهْمَةٍ .. هُوَ أَنَا ..
فَوَعْدُهُ السَّاقِي بِأَنَّهُ سَوْفَ يَذْكُرُ لِلْمَلِكِ قِصَّتَهُ ..
وَمَضَتْ أَيَّامٌ ، فَتَحَقَّقَتْ نُبُوءَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّتِي تَنَبَّأَ
بِهَا لِكُلِّ مَنْ السَّاقِي وَالْخَبَّازَ .. فَخَرَجَ السَّاقِي مِنَ
السَّجْنِ ، وَعَادَ إِلَى مُمَارَسَةِ عَمَلِهِ فِي الْقَصْرِ ، وَهُوَ
تَقْدِيمُ الشَّرَابِ إِلَى الْمَلِكِ ..
أَمَّا الْخَبَّازُ ، فَقَدْ صُلِبَ ، وَتَرَكَ جَسَدَهُ فِي الْعَرَاءِ ،
لِتَأْكُلَ الطَّيْرُ مِنْهُ ..

وَنَسِيَ السَّاقِي مَا طَلَبَهُ مِنْهُ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .. أَنْسَاهُ
الشَّيْطَانُ أَنْ يَذْكُرَ قِصَّتَهُ لِلْمَلِكِ ..
فَاسْتَمَرَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي السَّجْنِ بِضَعِ سَنَوَاتٍ ،
بِرْغَمِ أَنَّهُ دَخَلَ السَّجْنَ مَظْلُومًا ..

وَذَاتَ لَيْلَةٍ كَانَ مَلِكُ مِصْرَ نَائِمًا فِي فِرَاشِهِ ، فَرَأَى
حُلُمًا غَرِيبًا .. حُلُمًا أَفْزَعَهُ ، فَاسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ خَائِفًا ..



وَالْهَمُّ يَمْلَأُ وَجْهَهُ يَسْبَبُ هَذَا الْحَلْمَ ..

وَاسْتَدْعَى الْمَلِكُ الْكَهَنَةَ وَالْوُزَرَءَ وَرِجَالَ الْقَصْرِ
وَالْعَرَافِينَ وَقَصَّ عَلَيْهِمُ الْحَلْمَ الَّذِي أَفْرَعَهُ ..
قَالَ الْمَلِكُ :

- لَقَدْ رَأَيْتُ فِي مَنَامِي شَيْئًا عَجَبِيًّا .. رَأَيْتُ سَبْعَ بَقَرَاتٍ
سَمَانَ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ بَقَرَاتٍ هَزِيلَاتٍ .. رَأَيْتُ الْبَقَرَاتِ
السَّمَانَ ، وَهِيَ تَخْتَفِي فِي جَوْفِ الْبَقَرَاتِ الْهَزِيلَاتِ ..
وَرَأَيْتُ سَبْعَ سَبِيلَاتٍ خَضِرَ نَاضِرَةً ظَهَرَتْ أَمَامِي ، ثُمَّ اخْتَفَتْ ،
وَوُظِّهَتْ بَدَلًا مِنْهَا سَبْعُ سَبِيلَاتٍ جَائِفَةٌ يَابِسَةٌ ..
أَرْجُوكُمْ أَنْ تَفْسِّرُوا لِي هَذَا الْحَلْمَ الْغَرِيبَ ..

انْتَصَتِ الْحَاضِرُونَ إِلَى قِصَّةِ الْحَلْمِ ، لَكِنْ أَيْأَ مِنْهُمْ
لَمْ يَفْهَمَ لِهَذَا الْحَلْمِ أَيَّ مَعْنَى .. اسْتَنَكَرَ الْكَهَنَةُ
وَالْعَرَافُونَ - وَهُمْ أَقْدَرُ النَّاسِ عَلَى تَفْسِيرِ الْأَحْلَامِ - حَلْمَ
الْمَلِكِ ، وَقَالُوا لَهُ : إِنَّ مَا رَأَاهُ مَا هُوَ إِلَّا نَوْعٌ مِنْ أَضْغَاثِ
الْأَحْلَامِ ، أَيْ الْأَشْيَاءِ الْمُخْتَلِطَةِ الْمُتَدَاخِلَةِ ، الَّتِي يَرَاهَا
النَّائِمُ ، وَالَّتِي لَا مَعْنَى لَهَا ..

وأَجْمَعَ الحَاضِرُونَ عَلَى أَنَّ هَذَا الْحَلْمَ لَا مَعْنَى لَهُ ، وَأَنَّهُ مِنَ الْعَبَثِ تَفْسِيرُهُ ..

وَلَكِنَّ الْمَلِكَ كَانَ عَلَى الْعَكْسِ مِنْهُمْ جَمِيعًا .. كَانَ يَرَى أَنَّ هَذَا الْحَلْمَ الْغَرِيبَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَعْنَى .

وَكَانَ سَاقِي الْمَلِكِ ، الَّذِي نَجَا مِنَ السَّجْنِ حَاضِرًا ، فَتَذَكَّرَ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ فَقَطْ أَمْرَ يُوسُفَ ؑ .. تَذَكَّرَ أَنَّ هُنَاكَ شَخْصًا وَاحِدًا قَادِرًا عَلَى تَفْسِيرِ هَذَا الْحَلْمِ ، وَأَنَّ هَذَا الشَّخْصَ لَمْ يَزَلْ فِي السَّجْنِ .. فَقَدْ سَبَقَ أَنْ فُسِّرَ لَهُ وَلِلْخَبَّازِ حُلْمَيْهِمَا ، وَتَحَقَّقَتْ نُبُوءَتُهُ ..

وَلِذَلِكَ تَقَدَّمَ السَّاقِي مِنَ الْمَلِكِ قَائِلًا :

- أَعْرِفُ شَخْصًا يَسْتَطِيعُ تَفْسِيرَ هَذَا الْحَلْمِ لَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ ..
فَقَالَ الْمَلِكُ :

- وَمَنْ هُوَ هَذَا الشَّخْصُ أَيُّهَا السَّاقِي ؟

فَقَالَ السَّاقِي :

- شَخْصٌ يُدْعَى يُوسُفَ ، وَهُوَ الْآنَ مَوْجُودٌ فِي السَّجْنِ
فَلْتَأَمَّرْ لِي بِزِيَارَتِهِ ..

وذهب السَّاقِي إلى يوسُفَ عليه السلام في السَّجْنِ .

فقصرَ عليه حُلُمُ الْمَلِكِ ، طالبا منه تَفْسِيرَهُ . .

فقال يوسُفُ عليه السلام :

- إِنْ مِصْرَ مُقْبِلَةٌ عَلَى سَبْعِ سِنَوَاتٍ مُتَوَاصِلَةٍ مِنَ الرِّجَاءِ .

تَعْقِبُهَا سَبْعُ سِنَوَاتٍ مُجْدِبَةٍ لَا زَرْعَ فِيهَا وَلَا مَاءَ . .

وبعد ذلك يَأْتِي عَلَى مِصْرَ عَامٌ كُلُّهُ رِجَاءٌ وَخَيْرٌ . .

ووجهُ يوسُفَ النَّصِيحَةِ إِلَى الْمِصْرِيِّينَ قَائِلًا :

- عَلَيْكُمْ فِي السَّنَوَاتِ السَّبْعِ الْأُولَى ، وَهِيَ سِنَوَاتُ

الرِّجَاءِ الْأَنْ تُسْرِفُوا فِي اسْتِهْلَاكِ الْقَمْحِ - وَهُوَ الْغِذَاءُ

الرَّئِيسِيُّ - بَلْ تَزْرَعُونَ الْأَرْضَ ، وَتَأْخُذُونَ مِنَ الْمَحْصُولِ

بِقَدَرِ حَاجَتِكُمْ فَقَطْ ، وَالْبَاقِي تَتْرَكُونَهُ فِي مَنَابِلِهِ ، حَتَّى

لَا يَفْسُدَ أَوْ يَأْكُلَهُ السُّوسُ نَتِيجَةَ تَخْزِينِهِ فِي صَوَامِعِ الْغُلَالِ .

لَأَنَّ هَذَا الزَّادَ الَّذِي سَتُدَّحْرُونَهُ فِي سِنَوَاتِ الرِّجَاءِ

سَوْفَ تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي سِنَوَاتِ الْجَدْبِ ، حَتَّى لَا تَتَغَرَّضَ

مِصْرٌ لِلْمِجَاعَةِ . .

وعادَ السَّاقِي إِلَى الْمَلِكِ ، فَلَمَّا أَخْبَرَهُ بِتَفْسِيرِ



حُلمِهِ ، الَّذِي عَجَزَ الْجَمِيعُ عَنْ تَفْسِيرِهِ ، أَصْدَرَ
الْمَلِكُ أَمْرَهُ بِإِخْرَاجِ يُوسُفَ مِنَ السَّجْنِ فِي الْحَالِ ،
وَطَلَبَ إِحْضَارَهُ إِلَيْهِ لِيَكُونَ مُسْتَشَارَهُ الْخَاصُّ ..
وَذَهَبَ رَسُولُ الْمَلِكِ لِإِخْرَاجِ يُوسُفَ مِنَ السَّجْنِ ،
فَرَفَضَ يُوسُفُ ~~الْمَلِكَ~~ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ السَّجْنِ ، بَلْ طَلَبَ مِنَ
الرُّسُولِ أَنْ يَعُودَ إِلَى الْمَلِكِ ، لِيَسْأَلَهُ أَوَّلًا عَنِ التُّهْمَةِ
الْمُنْسُوْبَةِ إِلَيْهِ مِنْ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ ، فَإِذَا ثَبَّتَ بَرَاءَتَهُ مِنْهَا
خَرَجَ مِنَ السَّجْنِ ..

فَلَمَّا عَادَ الرُّسُولُ إِلَى الْمَلِكِ أَصْدَرَ أَمْرَهُ بِسُرْعَةٍ
التَّحْقِيقِ فِي هَذِهِ التُّهْمَةِ الْمُنْسُوْبَةِ إِلَى يُوسُفَ ،
فَحَضَرَتْ زَوْجَةُ الْعَزِيزِ ، وَحَضَرَتِ النِّسْوَةُ اللَّائِي قَطَعْنَ
أَيْدِيَهُنَّ ، فَسَأَلَهُنَّ الْمَلِكُ عَنْ سُلُوكِ يُوسُفَ وَأَخْلَاقِهِ ،
فَشَهِدَتْ جَمِيعُ النِّسْوَةِ بِبَرَاءَةِ يُوسُفَ ، وَدُخُولِهِ السَّجْنَ مَظْلُومًا ..
وَاعْتَرَفَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ بِأَنْ يُوسُفَ بَرِيءٌ ، وَأَنَّهَا هِيَ
الَّتِي رَاوَدَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ ، لَكِنَّهُ اسْتَعْصَمَ بِاللَّهِ ..

اعْتَرَفَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ بِذَنْبِهَا ، وَبَرَأَتْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ
كُلِّ مَا نُسِبَ إِلَيْهِ ، وَأَرْجَعَتْ مُرَاوَدَتَهَا لَهُ إِلَى نَفْسِهَا
الْأَمَارَةَ بِالسُّوءِ ، وَاسْتَغْفَرَتْ رَبَّهَا ، لِأَنَّهُ هُوَ وَحْدَهُ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ لِمَنِ اسْتَغْفَرَ وَتَابَ عَنْ ذُنُوبِهِ ..

وَمِنَ الْوَاضِحِ هُنَا أَنَّ امْرَأَةَ الْعَزِيزِ بَعْدَ دُخُولِ يُوسُفَ
السَّجْنِ ، قَدْ رَجَعَتْ عَنْ دِينِهَا وَاعْتَنَقَتْ دِينَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ..
فَلَمَّا ثَبَتَتْ بَرَاءَةَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَذَهَبَ الرُّسُولُ بِبَرَاءَتِهِ ، خَرَجَ
مِنَ السَّجْنِ ، وَقَدْ بَرَّاهُ اللَّهُ - تَعَالَى - مِنْ كُلِّ مَا نُسِبَ إِلَيْهِ ..
وَأَرَادَ الْمَلِكُ أَنْ يَكُونَ يُوسُفَ قَرِيبًا مِنْهُ ، لِيُشِيرَ عَلَيْهِ
فِي الْأُمُورِ الْخَطِيرَةِ ، الَّتِي تَتَعَرَّضُ لَهَا الْبِلَادُ ، فَطَلَبَ



مِنْهُ يُوسُفُ أَنْ يَجْعَلَهُ مُسْتَوْلاً عَنْ خَزَائِنِ الْأَرْضِ
- أَيْ خَزَائِنِ الْغَلَالِ وَالطَّعَامِ .. فَوَافَقَ الْمَلِكُ وَعَيْنَهُ فِي
الْحَالِ .. وَهَكَذَا مَكَنَ اللَّهُ - تَعَالَى - لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ..

(تَمَّتْ)

رقم الإهداء : ٢٥٦٢

التراجم الدولي : ١ - ٢٥٩ - ٢٦٦ - ٢٧٧



قصص الأنبياء
الكتاب التالي
يوسف عليه السلام
(٤)

عزيز مصر

احرص على اقتنائه